بسم الله الرحمن الرحيم

# استقرار الاصطلاح في علوم الحديث

**الدكتور مساعد مسلم ال جعفر**
**جامعة بغداد ـ كلية الآداب**
**قسم الدين**

لكل علم مسميات لجزئياته التي يدور حولها البحث فيه وتتحدد المفاهيم التي يصل اليها بها ، وهذه المسميات تنشأ بعد الخوض في العلم بفترة تطول او تقصر تبعا لطبيعته .

فالعلم الذي نشأته مستقلة تكون مسميات اجزائه متأخرة جدا في توحدها واستقرار حدودها العلمية . خلافا للعلم الذي يكون فرعا او نتيجة لعلم آخر، فانه يستمد مسميات اجزائه من المؤثر فيه او المتبوع منه .

وهذه المسميات اطلق عليها العلماء بعد استقرار حدودها العلميـــــة بالمصطلحات .

**فالاصطلاح :ـ**

هو تواطوء جماعة من العلماء على تسمية جزئيات علمهم باسماء يضعون لها حدودا تساعدهم في البحث وتوضح نتائجهم فيه وقد عرفه بعض العلماء بـ ( اتفاق طائفة على وضع اللفظ بازاء المعنى )[1] .

فهو لفظ جديد لمعنى من المعاني يضعه العلماء له لا يستخدم بدلالته وحدّه المستحدثين الا في مجال العلم الذي وضعه اهله له .

---

(١) التعريفات ـ الجرجاني ص١٦

وعادة : يكون للمعنى اللغوي علاقة بالمعنى الاصطلاحي وحده .

وعلم الحديث من العلوم المستقلة في نشأتها استقلالا تاما في كل ما يحيط به ، فلم تسبق الامة الاسلامية اليه في موضوعه ، ومنهجه في البحث، والجزئيات التي يتكون منها .

فانه يتعلق بما اضيف الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهذه اولى علامات استقلالية نشأته ، فلم يكن للعرب حظ في العلوم ولا في طرق البحث العلمي قبل الاسلام .

كما ان الامم التي ارسل الله جل جلاله اليها الرسل قبل الامة الاسلامية لم تفرق بين ما جاءها من رسلها ابتداء وما اوحاه الله الى اولئك الرسل من نصوص . بينما الامة الاسلامية : جاءها رسولها صلى الله عليه وسلم بالقرآن الكريم الذي لم يكن منهج حياة المسلمين فحسب وانما كانت له قدسية لان النطق بالفاظه عبادة يتقرب المسلم بها الى الله وان لم يكن الناطق بها يعرف معناها او جميع معاني مفرداتها المنطوقة .

والناحية الثانية في القرآن الكريم هي ان الله سبحانه تعهد بحفظه من الضياع او النقصان او التحريف بقوله : ( انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون )[٢] بعد ان اعلم رسوله الكريم صلى الله عليه وسلم ان جمعه في صدره وعدم نسيانه له موكول الى الله وقد اعد رسوله لذلك بقوله : ( لا تحرك به لسانك لتعجل به ان علينا جمعه وقرآنه ، فاذا قرأناه فاتبع قرآنه ثم ان علينا بيانه )[٣]

فكان همّ الرسول صلى الله عليه وسلم اتباع القرآن وتعليم المسلمين كيف يتبعونه ويطبقونه ، ولم يكن حفظ نص القرآن شاغلا للمسلمين ولم يكن همهم بل كان همهم منصبا على معرفة معناه وما يريد الله به منهم .

---

(٢) آية (٩) الحجر

(٣) آية (١٦) القيامة

فكانت العلوم التي تتعلق بالقرآن الكريم كلها تدور حول فهم النص بخلاف الحديث .

فلم يتعهد الله بحفظه من الزيادة والنقصان ، فكانت العلوم التي تبحث في الحديث قد اتجهت اتجاهين .

الاول : لضبط النص وحفظه وادائه وتثبيته .

والثاني : لفهم معناه والمراد منه وكيفية تطبيقه والاستدلال به على الاحكام والسلوك الشرعيين .

فنشأت طبقة من العلماء همهم جمع الحديث ( النصوص التي اثرت عن الرسول صلى الله عليه وسلم وعن عصره والتثبت من صحة نسبتها الى من نسبت اليه اخذا ممن سمعها من الصحابة الذين لازموا الرسول وسمعوا منه .

هذه الطبقة هي ( اهل الحديث ) وهي اول مدرسة علمية في الامة الاسلامية .

اخذت هذه المدرسة تتكامل وتتضح معالمها وترسخ اسسها ويتحدد منهجها العلمي في البحث والتدريس ، وربما كانت هذه المدرسة اصلا لجميع المدارس العلمية الاسلامية فيما بعد .

كان همّ رواد هذه المدرسة معرفة من يؤخذ منه الحديث ، لانه كان يعتمد على الحفظ لتأخر شيوع القراءة والكتابة ـ اولا ـ ولان الرسول صلى الله عليه وسلم منع انتشار كتابة الحديث ـ ثانيا ـ فيما رواه مسلم(٤) .

فاستقطبت هذه المدرسة نوعا خاصا من الشيوخ والتلاميذ في جميع العصور اهم ما يمتازون به ، حدة الذكاء وقوة الحافظة ومعرفة الناس فكان من

---

(٤) مسلم : مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري ابو الحسن الامام الحافظ صاحب ( الصحيح ) وهو ثاني اهم كتب الحديث الصحيح توفي سنة ٢٦١ هـ طبقا لحفاظ ص ٢٦٠

شروط راوى الحديث الصحيح عند البخاري[٥] ( ان يكون من اهل هـذه المدرسة )[٦]

استمر جمع الحديث وحفظه منذ عصر الرسول صلى الله عليه وسلم ، جمعا يراد منه الجمع فقط ، فهم المحدث ان يحفظ في صدره وقرطاسه اكبر عدد من النصوص المأثورة عن الرسول صلى الله عليه وسلم فيتحرى ممن ياخـذ احاديثه فلا يأخذها الا من ثقة في دينه متثبت في حفظه ضابط في كتابته ونقله فكانت احاديث الصلاة مع احاديث البيوع واحاديث الزواج وهكذا في جميع المواضيع تتخلل بعضها البعض وكذلك بالنسبة لتاريخ الاحاديث لم يلتزم به بالنسبة لوقت نزولها ولا بالنسبة لرواتها من الصحابة . فكان جمـع الحديث غير مبوب ولا مرتب ويعتمد المحدث على ذاكرته وعلى قرطاسه احيانا ثم يبلغ ما عنده لتلاميذه من حفظه وقرطاسه .

كل ذلك وفق شروط وقواعد لكيفية الاخذ والضبط والتبليغ وصفات المحدث والطالب ، وهذه الشروط والاسس يلتزم بها اهل الحديث وهي غير مدونة ولا منصوص عليها اتفاقا منهم على تفاصيلها وانما كانت ترجع في كثير من الاحيان الى ذات المحدث ومنهجه في التثبت بين التشدد والتسـامح في اعتبارها وتحريها .

وكما ذكرت فان الجزئيات التي يتكون منها العلم والتي هي مدار بحثه لم تكن متفقا عليها من ناحية الحد والاصطلاح العلمي . وقد مرت بمراحـل كثيرة قبل استقرار حدودها والاتفاق على تسميتها .

---

(٥) البخاري : ابو عبدالله محمد بن اسماعيل بن المغيرة الجعفي الحافظ العلم صاحب الجامع الصحيح الذي لم يصنف مثله قبله ولا اصح منـه في الحديث مات ليلة عيد الفطر ٢٥٦ هـ

(٦) هدى الساري ـ ابن حجر ١٣ وشروط الائمة الخمسة ـ محمد بن سري الحازمي ص ٤٦ ( والذي ذكرته ليس نصا وانما يفهم من قولهم ( ان يعرف احوال رواته وشيوخه ويتحراهم ) وقولهم ( ان يكون من اهل الحديث ) .

ولما كان نشوء الاصطلاح متاخرا عن تدوين الحديث فان علماء المصطلح اخذوا اصطلاحهم من الاوصاف التي وصف بها رواة الحديث احاديثهم بعد استقراء هذه الاحاديث والاوصاف التي وصفت بها وضبطها بضابط واحد اعتبر فيما بعد اصطلاحا ، كما وضع له الحد من استقراء مقاصد العلماء في الوصف الذي يطلقونه على الحديث .

والعلم الذي نحن بصدده ، هو علم الحديث فالحديث هو مداره وحصيلة بحثه ولا خلاف بين اهل العلم ان الحديث :ـ

ـ هو كل ما اضيف الى الرسول صلى الله عليه وسلم من قول او فعل او تقرير اوصفة . ولكن هناك ما يساوي الحديث وهو السنة فهي في اصطلاح المتاخرين مرادفة للحديث تقريبا ولكن المتقدمين من العلماء يرون فيها آراء مغايرة للاصطلاح ومتغايرة فيما بينها فمثلا :ـ

« قال الشافعي »[٧] : اقول في الخلافة التفضيل بابي بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم ، قال يحيى بن معين[٨] : من قال ابو بكر وعمر وعثمان وعلي وسلم لعلي سابقته فهو صاحب سنة ومن قال ابوبكر وعمر وعثمان وسلم لعثمان سابقته فهو صاحب سنة ، وذكرت له هؤلاء الذين يقولون ابو بكر وعمر وعثمان ويسكتون فتكلم بكلام غليظ » ... « وعن مسروق[٩] حب ابي بكر وعمر ومعرفة فضلهما من السنة »[١٠] .

---

(٧) الشافعي : الامام العلم ابوعبدالله محمد بن ادريس بن العباس بن عثمان بن شافع القرشي المطلبي امام الائمة وقدوة الامة مات سنة اربع ومائتين . طبقات الحفاظ ص ٢٤٨

(٨) يحيى بن معين : يحيى بن معين بن عون الغطفاني مولاهم ، البغدادي احد الائمة الاعلام مات بالمدينة سنة ثلاث ومائتين . طبقات الحافظ / ١٥٤

(٩) مسروق : مسروق بن الاجدع الهمداني ابو عائشة الكوفي من افاضل التابعين قال الشعبي ما رأيت اطلب للعلم منه مات بالمدينة سنة ثلاث وستين . العبر في خبر من غبر جـ١ / ٦٨

(١٠) ايقاظ هم اولي الابصار ـ الفلاني ٤٦

هذا قول في السنة وهناك قول آخر مختلف وهو :ـ

« قال ابن كيسان: اجتمعت انا والزهري ونحن نطلب العلم فقلنا نكتب السنن فكتبنا ما جاء عن الرسول صلى الله عليه وسلم ثم قال نكتب ما جاء عن الصحابة فانه سنة وقلت انا ليست بسنة ولا نكتبة فكتبه الزهري ولم اكتبه.. قال فانجح وضيعت »(١١)

هذه الآراء لعلماء اعلام من المتقدمين وابرزها واهمها قولا الشافعي والزهري خاصة اذا علمنا ان الزهري من قادة علماء الحديث ومن اثبتهم واعلمهم فيه رواية ودراية كما ان له فضل التقدم في جمع السنة اذ ان عمر بن عبدالعزيز رضي الله عنه وكل اليه ذلك وهي اول محاولة تحققت لجمع الحديث وكانت وفاته في سنة ١٢٤هـ .

والسنة ركن من أركان العلم الشرعي لان غاية علم الحديث تحديدالسنة التي هي المصدر الثاني للتشريع ولا ينفرد المصدر الاول ( القرآن ) دونه وقد راينا ما تعني قبل استقرار الاصطلاح .

ويأتي في الاهمية بعد تحديد السنن وجمعها بيان نوعها ففيه يعلم مايؤخذ وما يرد من النصوص في التشريع ، وهي ثمرة علم الحديث .

وفي تحديد نوع الحديث الذي يؤخذ منه الحكم نجد اختلافا كثيرا في تسميته وفي حده . وهو الحديث الذي تصدق نسبته الى الرسول صلى الله عليه وسلم او لمن نسب اليه .

فلا خلاف بين العلماء في الاحتجاج بالحديث المتواتر ، وهو الذي يبلغ نقلته في كل جيل عددا لا يمكن اجتماعهم وتواطؤهم على الكذب ، فهذا النوع من الحديث تثبت به اصول الدين . ولكن اغلب الاحكام التكليفية تثبت بالحديث الآحاد الذي ينقله دون العدد الذي يتواتر به الحديث في اي طبقة من طبقات السند . وهو مدار هذا العلم ( علم الحديث ) وبه عرفت شروط قبول هذا الحديث وفي تسميته وحده اختلاف قبل استقرار الاصطلاح .

---

(١١) ايقاظ همم اولي الابصار / ٤٦ ـ الفلاني

فقد سماه الامام الشافعي : حديث الواحد الحجة • وهو في اصطلاح المتاخرين ( الحديث الصحيح )

وقد حده الشافعي بقوله ( فقال لي قائل : احدد لي اقل ما تقوم به الحجة على اهل العلم حتى يثبت عليهم خبر الخاصة ، فقلت : خبر الواحد عن الواحد حتى ينتهي به الى النبي او من انتهى به اليه دونه ــ ولا تقوم الحجة بخبر الخاصة حتى يجمع امورا منها : ــ ان يكون من حدث به ثقة في دينة معروفا بالصدق في حديثه عاقلا لما يحدث به عالما بما يحيل معاني الحديث من اللفظ وان يكون ممن يؤدي الحديث بحروفه كما سمع لا يحدث به على المعنى ، لانه لو حدث به على المعنى وهو غير عالم بما يحيل معناه ، لم يدر لعله يحيل الحلال الى الحرام • واذا اداه بحروفه فلم يبق وجه يخاف فيه احالته الحديث • حافظا ان حدث من حفظه حافظا لكتابه ان حدث من كتابه • اذا شرك اهل الحفظ في الحديث وافق حديثهم ، بريا من ان يكون مدلسا يحدث عمن لقي ما لم يسمع منه ، ويحدث عن النبي ما يحدث الثقات خلافة عن النبي )[١٢] • وقد كان قبلئذ يسمى المقبول وتحديد الاصطلاح فيه بـ ( الحديث الصحيح ) جاء متاخرا قريبا الى المعنى اللغوي كما ان علماء الحديث اخذوا هذه التسمية من وسم البخاري كتابه بـ ( الجامع الصحيح المسند من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وايامه ) وقوله فيه ( لم اخرج في هذا الكتاب الاصحيحا وما تركت من الصحيح اكثر )[١٣]

ولم ينته الموضوع عند تسميته بالصحيح فانهم مع تسميته والاصطلاح عليه اختلفوا في حده ، واخذ وقتا غير قليل حتى اصبح متعارفا عليه لديهم بالحد الذي استقر مع اتفاقهم على معناه وما يدل عليه ابتداء

---

(١٢) الرسالة للشافعي / ١٦٠

(١٣) هدى الساري لابن حجر / ٧

وكما لاحظنا ذكر الشافعي صفات الحديث الصحيح بعد تسميته بحديث ( الواحد الحجة ) مشيرا الى شروط صحته التي كانت منصبة على السند فقط وخالفه استقرار الاصطلاح من الحد على المتن والسند بسواء . وكتب الحديث المتأخرة نصت على الشروط ووضعت جميع رواة الحديث واحاديثهم في الاختبار وفق هذه الشروط ، وقالوا ان الحديث الفلاني صحيح متنا وسندا والحديث الفلاني فيه علة كذا في المتن او في السند .

فابن الصلاح[١٤] الذي عرفه بـ ( الحديث المتصل السند برواية العدل الضابط عن العدل الضابط الى رسول الله او الى منتهاه ولا يكون شاذا ولا معللا )[١٥] خالف فيه من كان قبله مثل الخطابي[١٦] الذي يعتبر اول من قسم الحديث الى ( صحيح وحسن وسقيم )[١٧] من علماء الحديث والمصطلح .

فان الخطابي بعد ان قسم الحديث الى ثلاثة اقسام قال : ( فالصحيح عندهم ( عند اهل الحديث ) ما اتصل سنده وعدلت نقلته )[١٨]

---

(١٤) ابن الصلاح : الامام الحافظ شيخ الاسلام تقي الدين ابو عمرو عثمان بن الشيخ صلاح الدين عبدالرحمن بن عثمان بن موسى الكردي الشهرزوري الشافعي صاحب كتاب علوم الحديث . مشاركا في عدة فنون متبحرا في الاصول والفروع يضرب به المثل سلفيا زاهدا حسن الاعتقاد وافر الجلالة مات في سنة ثلاث واربعين وستمائة . طبقات الحفاظ / ٤٠٣

(١٥) التقييد والايضاح ، شرح مقدمة ابن الصلاح ( العراقي ) / ٢٠ الباعث الحثيث ( ابن كثير ) / ٢١ ، تدريب الراوي ( السيوطي ) / جـ١ / ٦٣

(١٦) الخطابي : الامام العلامة المفيد المحدث الرحال ابو سليمان حمد بن محمد بن خطاب السبتي صاحب التصانيف مات سنة ثمان وثمانين وثلاثمائة . طبقات الحفاظ / ٤٠٣

(١٧) تدريب الراوي ( السيوطي ) جـ١ / ٦٢

(١٨) معالم السنن للخطابي جـ١ / ٧

ويعتبر القاضي الرامهرمزي [١٩] اول من دون في علوم الحديث ولكنك لا تجد في كتابه ( المحدث الفاصل ) ـ الذي يعتبر اول كتاب في مصطلح الحديث اي مصطلح لنوع من انواع الحديث ولا حدا له ، وكل ما كتبه يتعلق في كيفية اخذ الحديث وطبقات الرواة وصفات الراوي ومزية دراسة الحديث.

واهتم الخطيب البغدادي[٢٠] في كتابه ( الكفاية ) بكيفية نقل الحديث واخذه وطبقات الرواة وصفات الراوي ومزية دراسة الحديث كسابقه واضاف اليها طرق تلقي الحديث وكتابته والفاظهم في هذه الطرق لكل طريقة لفظ ( كاخبرنا وحدثني وسمعت ... وما الى ذلك )

واكتفى القاضي عياض[٢١] بكيفية كتابة الحديث وعن الصحيح قال : ( اما كتابة ( صح ) على الحرف فهو استثبات لصحة معناه وروايته ولا يكتب ( صح ) الا على ما هذا سبيله ... فان كان اللفظ غير صحيح في اللسان ، اما في اعرابه او بيانه او فيه اختلال من تصحيف او تغيير او نقصت كلمة من الجملة اخلت بمعنى او بتر من الحديث مالا يتم الا به ، اما لتقصير في حفظ راويه او للاختصار وتبيين عين الحديث بلفظه منه لا بايراده على وجهه او بتقديم او تأخير قلب مفهومه ونثر منظومه فهذا الذي جرت عادة اهل التقييد ان يمدوا عليه خطا اوله مثل الصاد ولا يلزق بالكلمة المعلم عليها لئلا يظن ضربا ويسمى ( ضبة ) ويسمونه ( مريضا ) وكانها صاد التصحيح كتبت بمدتها وحرفت

---

(١٩) الرامهرمزي : الحافظ الامام البارع ابو محمد الحسن بن عبدالرحمن بن خلاد الفارسي صاحب كتاب المحدث الفاصل اول تدوين خاص في علوم الحديث من ائمة هذا الشأن عاش الى قريب الستين والثلاثمائة .
طبقات الحفاظ / ٣٦٩

(٢٠) الخطيب البغدادي : الخطيب الحافظ الكبير محدث الشام والعراق ابو بكر احمد بن علي بن ثابت بن احمد البغدادي صاحب التصانيف ولد سنة اثنين وتسعين وثلاثمائة ، ومات سنة ثلاث وستين واربعمائة .

(٢١) القاضي عياض : القاضي عياض بن موسى بن عياض بن عمرو بن موسى بن عياض العلامة عالم المغرب ابو الفضل اليحصبي السبتي الحافظ توفي سنة اربع واربعين وخمسمائة طبقات الحفاظ / ٤٦٨

حاؤها ليفرق بينها وبين ما صح لفظا ومعنى وذلك انه صح من جهة الرواية وضعف من جهة المعنى فلم يكمل عليه التصحيح )[٢٢]

وهكذا نجد الحديث الصحيح وهو الركن الركين في علوم الحديث لم يستقر الاصطلاح عليه ولم يوضع له الحد المعروف لدينا الا بعد تدوين جميع دواوين السنة بوقت غير يسير وقد كان متاخرا حتى عن بدايات التدوين في مصطلح الحديث وهو العلم الذي اعتنى بالحديث دراية بعد ان كمل تدوينه روايـة .

واكثر انواع الحديث اختلف في حدها هو الحديث الحسن وهو النوع الثاني من انواع الحديث بعد الحديث الصحيح .

والمتتبع للحديث الحسن واصطلاح العلماء فيه يجده من الاحاديث الصادقة النسبة الى الرسول صلى الله عليه وسلم والى من ينسب اليه . ولكنه ادنى درجة من الحديث الصحيح في ضبطه نصا وفي قوة سنده ، وخير دليل على ذلك اعتباره سببا لكثير من الاحكام الفقهية عند جميع علماء المسلمين فلم يرفض احدهم الاحتجاج والتعليل به في الاحكام .

لقد ورد لفظ الحديث الحسن في كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال : ( ما افاد المسلم اخاه فائدة احسن من حديث حسن بلغة فبلّغه)[٢٣]

وفي اعتباره درجة من درجات الحديث نلاحظ ان اول من سماه في الاحاديث هو الامام الترمذي[٢٤] في سننه ، فقد عقب على بعض الاحاديث بقوله ( حديث حسن ) .

---

(٢٢) الالماع الى معرفة اصول الرواية وتقييد السماع / ١٦٧ ( القاضي عياض )

(٢٣) جامع بيان العلم وفضله جـ١/٥٣ ( ساذكر الحديث بسنده في آخر الموضوع حيث مناسبته والتعليق عليه )

(٢٤) الترمذي : ابو عيسى محمد بن عيسى بن موسى بن سورة بن الضحاك السلمي صاحب الجامع والسنن الضرير الحافظ العلامة مات بترمذ سنة تسع وسبعين ومائتين .
طبقات الحفاظ / ٢٧٨

والعلماء يرون ان في دواوين السنن الاخرى احاديث حسنة لم يذكر لها رواتها هذا الاسم ، فابو داود[٢٥] قال في سننه : ( ذكرت الصحيح وما يشابهه ويقاربه )[٢٦] وفي تقدير العلماء ان الذي يشابهه ويقاربه هو الحديث الحسن.

والذي يعنينا هنا ان الترمذي سمى بعض الاحاديث به ثم جاء الخطابي ليضع له حدا فقال : ( والحسن : ما عرف مخرجه واشتهر رجاله وعليه مدار اكثر الحديث وهو الذي يقبله اكثر العلماء ويستعمله عامة الفقهاء )[٢٧] وهذا الحد هو وصف الخطابي للاحاديث التي قال عنها الترمذي احاديث حسنة ، وهذا بعد ان وضع الترمذي له شروطا بقوله : ( ان لا يكون في اسناده من يتهم بالكذب ولا يكون حديثا شاذا ويروى من غير وجه نحو ذلك )[٢٨]

وكلام الترمذي وكلام الخطابي بعده لا يعتبران حدا للحديث الحسن يستقر عليه الاصطلاح .

وقد ناقش الكلام السابق في حد الحسن كل من ابن الصلاح والزين العراقي[٢٩] وابن كثير[٣٠] والسيوطي[٣١] واطنبوا فيما ليس لي به حاجة في هذا المقام .

---

(٢٥) ابو داود : السجستاني سليمان بن الاشعث بن شداد بن عمرو الازدي الامام العلم صاحب السن ولد سنة اثنتين ومائتين ومات سنة خمس وسبعين ومائتين . ( طبقات الحفاظ / ٥٤٠ )

(٢٦) الباعث الحثيث / ( ابن كثير ) / ٤١

(٢٧) معالم السنن جـ١ / ٧ ( الخطابي )

(٢٨) مقدمة ابن الصلاح بشرح العراقي / ٤٣ ، الباعث الحثيث لابن كثير / ٣٨ تدريب الراوي شرح تقريب النووي للسيوطي جـ١ / ١٥٤

(٢٩) الزين العراقي : الحافظ الامام الكبير ابو الفضل زين الدين عبدالرحيم بن الحسن ابن عبدالرحمن بن ابي بكر بن ابراهيم العراقي حافظ العصر مات في سنة ست وثمانمائة . (طبقات الحفاظ / ٥٤٠ )

(٣٠) ابن كثير : الامام المحدث الحافظ ذو الفضائل عمادالدين ابو الفداء اسماعيل القيسي البصري مات سنة اربع وسبعين وسبعمائة . ( طبقات الحفاظ / ٥٢٩ )

(٣١) السيوطي : الامام العلم ابو الفضل جلال الدين عبدالرحمن بن الكمال ابي بكر بن محمد بن سابق الخضيري الاسيوطي صاحب التصانيف الكثيرة جدا توفى سنة احدى عشرة وتسعمائة . ( مقدمة تدريب الراوي / ٦٨ )

وقد فصل ابن الصلاح القول في الحديث الحسن تفصيلا شمل جميع الاحاديث التي وصفت بانها حسنة وقد قسمه الى قسمين الاول : ( الحديث الذي لا يخلو رجال اسناده من مستور لم تتحقق اهليته غير انه ليس مغفلا كثير الخطأ ولا متهما بالكذب ويكون متن الحديث مع ذلك قد عرف بان روى مثله او نحوه من وجه آخر فيخرج بذلك عن كونه شاذا او منكرا . والثاني : ان يكون راويه من المشهورين بالصدق والامانة غير انه لم يبلغ درجة رجال الصحيح لكونه يقصر عنهم في الحفظ والاتقان وهو مع ذلك يرتفع عن حال من يعد ما ينفرد به من حديثه منكرا ويعتبر في كل هذا مع سلامة الحديث من ان يكون شاذا او منكرا سلامته من ان يكون معللا .)[٣٢]

وقد يسمي الاقدمون حديثا بالحسن نجده احيانا يرتفع في درجات الصحيح واحيانا يراد به الحسن اللفظي ، فقد ورد في حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما رواه ابن عبدالبر قائلا : ( حدثنا عبدالوارث اخبرنا احمد ابن زهير قال أخبرنا عبدالوهاب بن نجد الموطي حدثنا يحيى بن سليم ومحمد بن سلم الطائفي عن محمد بن المنكدر وغيره ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ما افاد المسلم اخاه فائدة احسن من حديث حسن بلغه فبلّغه )[٣٣] وربما يريد الترمذي الذي ادخله في الاصطلاح في بعض احاديثه الحسن اللفظي فقد جاء في سننه : ( حدثنا قتيبة بن سعيد حدثنا ابو عوانة عن سماك بن حرب ح وحدثنا هناد حدثنا وكيع عن اسماعيل عن سماك عن مصعب بن سعد عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : ( لا تقبل صلاة بغير طهور ولا صدقة من غلول قال هناد في حديثه الا بطهور ... قال ابو عيسى ( الترمذي ) هذا الحديث اصح شيء في هذا الباب واحسن )[٣٤]

---

(٣٢) مقدمة ابن الصلاح بشرح العراقي ٤٦ ـ ٤٧

(٣٣) جامع بيان العلم وفضله جـ١ / ٥٣ ( ابن عبدالبر )

(٣٤) سنن الترمذي جـ ١ ص ٥ .

ويفهم من كلام ابن عبدالبر[٣٥] الحسن اللفظي في بعض الاحاديث التي يرويها في كتابه مع ان كتابه في علم المصطلح وليس في الرواية فقط ومن ذلك قوله : ( حدثنا ابو عبدالله عبيد بن محمد اخبرنا ابو عبدالله محمد بن عبدالله بن محمد القاضي القلزمي ومحمد بن ايوب بن يحيى القلزمي ومحمد بن عبيد بن خنيس الكلاعي بدمياط حدثنا موسى بن محمد بن عطاء القرشي قال حدثنا عبدالرحيم بن زيد العمي عن ابيه عن الحسن عن معاذ بن جبل قال ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : تعلموا العلم فان تعليمه لله خشية وطلبهعبادة ومذاكرته تسبيح والبحث عنه جهاد وتعليمه لمن لا يعلمه صدقة • وبذله لاهله قربة ، لانه معالم الحلال والحرام ومنار سبيل اهل الجنة ، هو الانس في الوحشة والصاحب في الغربه والمحدث في الخلوة والدليل على السراء والضراء والسلاح على الاعداء والزين عند الاخلاء يرفع الله به اقواما فيجعلهم في الخير قادة وائمة تقتص اثارهم ويقتدى بافعالهم وينتهى الى رايهم ، ترغب الملائكة في خلتهم وباجنحتها تمسحهم ، ويستغفر لهم كل رطب ويابس وحيتان البحر وهوامه وسباع البر وانعامه لان العلم حياة القلوب من الجهل ومصابيح الابصار من الظلم ، يبلغ العبد من العلم منازل الاخيار والدرجات العلى في الدنيا والاخرة ، التفكر فيه يعدل الصيام ، ومدارسته تعدل القيام ، به توصل الارحام وبه يعرف الحلال من الحرام ، هو امام العمل والعمل تابعة ويلهمه السعداء ويحرمه الاشيقاء ــ هكذا حدثنيه ابو عبدالله عبيد بن محمد رحمه الله مرفوعا بالاسناد المذكور ــ وهو حديث حسن جدا ولكن ليس له اسناد قوي )[٣٦]

---

(٣٥) ابن عبدالبر : الحافظ الامام ابو عمر يوسف بن عبدالله بن محمد بن عبدالبر بن عاصم النمري القرطبي انتهى اليه مع امامته علو الاسناد فقيها عالما مكثرا مات في سنة ثلاث وستين واربعمائة ( طبقات الحفاظ ٤٣٢ ) .

(٣٦) جامع بيان العلم وفضله حـ١ / ٦٥ ( ان عبدالبر )

ومع هذا نستطيع الجزم بان الترمذي يريد بالحسن الحديث الذي يقل عن درجة الصحيح ، ولعدم استقرار الاصطلاح والتقيد بحدود مرسومة ومقررة لكل نوع من انواع الحديث جعله يصف احيانا احاديث بالحسنة لايريد درجتها ، والذي يؤكد لنا ذلك هو ذكره لشروطه التي سبق الاشارة اليها في جامعة كما ان العلماء اجمعوا على ارادته ذلك من استقراء جميع الاحاديث التي رواها ومنها التي وصفها بهذا الوصف . وقد ذكرنا رأي ابن الصلاح في وصف الترمذي وحدّه للحديث الحسن .

وقد نقل الشيخ جمال الدين القاسمي رحمه الله حد الطيبي للحديث الحسن بقوله : ( الحسن مسند من قرب من درجة الثقة او مرسل ثقة وروي كلاهما من غير وجه وسلم من شذوذ وعلة ) وقال: وهذا الحد من اجمع الحدود التي نقلت في الحسن واضبطها وانما سمي حسنا لحسن الظن براويه ) (٣٨)

وارى ان حد ابن الجوزي(٣٩) له اشمل وادق من حد الطيبي فقد قال : ( الحديث الذي فيه ضعف قريب محتمل هو الحديث الحسن ويصلح للعمل به )(٤٠) على ان تفصيل ابن الصلاح لا يدع لقائل قولا .

وفي دواوين السنة وخاصة عند الترمذي وصف للحديث اجهد العلماء في التماس حد له يضبطه تندرج جميع الاحاديث التي وصفت به تحته . وهذا الوصف هو ( حسن صحيح ) .

---

(٣٧) الطيبي : الحسين بن محمد بن عبدالله الطيبي احد كبار علماء الحديث اشهر كتبه الخلاصة في اصول الحديث مات سنة ثلاث واربعين وسبعمائة. ( الدرر الكامنة جـ٢ / ١٥٦ )

(٣٨) قواعد التحديث ـ للشيخ القاسمي / ١٠٢

(٣٩) ابن الجوزي : الامام العلامة الحافظ عالم العراق وواعظ الافاق جمال الدين ابو الفرج عبدالرحمن بن علي بن عبدالرحمن بن علي بن علي بن عبدالله القرشي البكري الصديقي البغدادي الحنبلي الواعظ صاحب التصانيف مات سنة سبع وتسعين وخمسمائة . ( طبقات الحفاظ ٤٧٧ )

(٤٠) هامش الباعث الحثيث ـ احمد محمد شاكر ٢٩

فنجد في سنن الترمذي حديثا يقول فيه حسن صحيح مثل ( حدثنا محمد بن بشار حدثنا يحيى بن سعيد وعبدالرحمن الانصاري قال سمعت انس بن مالك يقول : كان النبي صلى الله عليه وسلم يتوضأ عند كل صلاة قلت فانتم ما كنتم تصنعون ؟ قال : كنا نصلي الصلوات كلها بوضوء واحد ما لم نحدث . قال ابو عيسى ( الترمذي ) هذا حديث حسن صحيح )[٤١] وهذا الحديث دون الصحيح .

بينما نجد نفس الوصف اطلقه الترمذي على حديث صحيح رواه مسلم وابو داود والنسائي[٤٢] وابن ماجة[٤٣] وهو قوله : ( حدثنا بشار حدثنا عبدالرحمن بن مهدي عن سفيان عن علقمة بن مرثد عن سليمان بن بريدة عن ابيه قال : كان النبي صلى الله عليه وسلم يتوضأ لكل صلاة فلما كان عام الفتح صلى الصلوات كلها بوضوء واحد ومسح على خفيه فقال عمر : انك فعلت شيئا لم تكن فعلته ؟ قال عمدا فعلته . قال ابو عيسى هذا حديث حسن صحيح )[٤٤] .

وعلى ذلك حاول علماء المصطلح ايجاد تفسير لجمعه بين وصفين لحديث واحد واجهدوا انفسهم لايجاد حد له .

فقالوا[٤٥] انه روي بطريقين احدهما صحيح والثاني حسن ، وقالوا انه حسن لذاته صحيح لغيره ، وقالوا يريد بقوله صحيح درجته وبقوله حسن الحسن اللفظي اي جيد وهذا ما اذهب اليه والذي دعاني لترجيح هذا الرأي

---

(٤١) سنن الترمذي جـ١ / ٨٨ و ٨٩

(٤٢) النسائي : ابو عبدالرحمن احمد بن شعيب بن علي بن سنان بن بحر بن دينار الخراساني القاضي الامام الحافظ شيخ الاسلام احد الائمة الاعلام المبرزين مات سنة ثلاث وثلاثمائة . ( طبقات الحفاظ / ٣٠٣ )

(٤٣) ابن ماجة : ابو عبدالله محمد بن يزيد الربعي مولاهم القزويني الحافظ صاحب كتاب السنن والتفسير مات سنة ثلاث وثمانين ومائتين . ( طبقات الحفاظ / ٢٧٨ )

(٤٤) سنن الترمذي / ٨٨ – ٨٩

(٤٥) الباعث الحثيث / ١٤ ، ومقدمة ابن الصلاح

الاحاديث التي ذكرتها والتي رايتها ولم اذكرها في سنن الترمذي ، كما انه يقول احيانا : صالح ، وجيد اضافة الى الوصف الذي يصف به الحديث وكون الحديث صحيح وحسن اي انه ذو مكانة في العلم والتشريع كما قيل في وصف حديث ( انما الاعمال بالنيات )[٤٦] سد بابا في العلم عظيما .

فان استعمل العلماء الحديث في الاحكام وهو لهم سند لا يصلح غيره رآه حسنا وكذلك الحسن الصالح . اما قوله حسن غريب فان الحسن يريد درجته وقوله الغريب يريد الطريق التي ورد بها الحديث اي منفردة اي ان احد الرواة انفرد به وهو حسن اي ان هذا المنفرد لا يعتبر ما ينفرد به منكرا ولا شاذا . والله اعلم .

وبعد الكلام على الاصطلاح في الحديث الصحيح والحسن وهما اهم انواع الحديث ومدار عمل اهله وغايتهم ، وعمدة اهل الفقه والاصول لانهما من ادلة الاحكام التي لا يمكن الاستغناء عنها . يبقى النوع الثالث والنوع الرابع وهما الضعيف والموضوع ، وغالب العلماء يعتبر الموضوع من انواع الحديث الضعيف فيقولون انه اوهى درجات الضعيف .

والحد الفاصل بين الضعيف والموضوع هو كون راوي الحديث الضعيف لا يتهم بالكذب فان اتهم بالكذب اعتبر حديثه موضوعا على كل حال .

وينقسم الضعيف الى انواع كثيرة واختلف العلماء في الاصلاح عليها ووضع الحد لها لعل الله ان يعين على البحث فيها في المستقبل . ولذا قال متاخروا المحدثين ( اصول التصحيح والتضعيف ظنية مدارها على ذوق ( وجهة نظر ) المحدث واجتهاده غالبا ، فلا لوم على محدث او مجتهد يخالف فيها غيره من المحدثين والمجتهدين ، الا ترى مسلما قد خالف البخاري في بعض الاصول فاشترط احدهما في قبول العنعنة اللقاء مرة والوصول ولم يشترطه الآخر واكتفى فيه بالمعاصرة وامكان اللقاء ووافقه عليه جمهور العلماء والفحول

---

(٤٦) صحيح البخاري جـ١ باب الايمان .

وكذا خالف ابن حبان[٤٧] جمهور المحدثين في رواية المجهول والاحتجاج بها اذا كان الراوي عنه وشيخه كلاهما ثقتين ولم يكن الحديث منكرا . )[٤٨]

فمدونوا الحديث الزموا انفسهم بشروط يتفاوت التشدد والتساهل فيها وعلم الحديث يدل على ان هذه الشروط والضوابط عامة ، ولكن معرفة كل راو بشيوخه ورواته هي التي جعلت التفاوت في قبول ورد الروايات ، ومما نجده عند علماء الحديث انهم لا يطعنون بالشيوخ الذين يروي غيرهم عنهم اذا رفضوا روايتهم والمشهور ان البخاري لا يتكلم في الرواة ابدا وانما يضعف المحدثون راو عنده لتركه روايته فقط كما انهم بالتزامهم لهذه الشروط لم ينصوا عليها في كتبهم ( ولم ينقل عن واحد منهم انه قال شرطت ان اخرج في كتابي على الشرط الفلاني وانما يعرف ذلك من سبر كتبهم فيعلم بذلك شرط كل رجل منهم )[٤٩]

وقد ذكرنا ان غاية المحدث عند تدوين السنة ان يجمع ما وقع تحت يده من الاحاديث وفق الشروط التي يرى فيها الشيخ اهلا لحمل الحديث وبعدها نظمت وبوبت ، واخيرا اخذ المحدثون يبينون درجة الحديث المروي وبعدها بفترة طويلة ظهر علماء الاصطلاح وهم نخبة من علماء الحديث الافاضل وضعوا هذه الضوابط ـ باستقراء كتب الحديث ـ التي يفهم بها الحديث ويستشمر المطلع على دواوين السنة مطالعته فيها .

تاثر متاخرو الفقهاء بهذا التدوين والجمع تاثرا عظيما فقد ضبطوا اصولهم واجروا آراء شيوخهم على هذه الاصول . ولا يغيب عنا ان رؤوس المذاهب وروادها الاول من علماء الحديث واعلامهم وبه نما فقههم وقوى نظرهم .

---

(٤٧) ابن حبان : الحافظ العلامة ابو حاتم محمد بن حبان بن احمد بن حبان بن معاذ بن معبد التميمي البستي صاحب المسند الصحيح مات سنة اربع وخمسين وثلاثمائة . ( طبقات الحفاظ ٢٧٤ )

(٤٨) قواعد في علوم الحديث / للتهانوي / ١٢٠

(٤٩) شروط الائمة السته للحافظ الحازمي / ١٠

فالامام ابو حنيفة كان حجة في الحديث والامام مالك صاحب الموطأ والامام الشافعي حلقة في سلسلة الذهب عند المحدثين والامام احمد فاق علمه بالسنة نظره في الفقه .

وقد ياخذ احدهم بحديث يرفضه غيره ( لاعتقاده ان الحديث معارض بما يدل على ضعفه او نسخه او تاويله ان كان قابلا لتاويل )[٥٠] وغير ذلك من المبررات التي تدفعه لذلك . فجاء في اعصارنا هذه من يقول ان ابا حنيفه لا علم له بالحديث وان مالكا يعتمد على احاديث غير صحيحة ( مرسلة او منقطعة ) وان الشافعي شأنه كذا واحمد كذا ، والحقيقة غير هذا كله ، لان اسماء الاحاديث والاصطلاح عليها ظهرت بعدهم بسنين طوال كما بينا .

والذي يجدر بنا ذكره في هذا المقام ان الفقهاء متفقون على الاخذ بالحديث الذي تصدق نسبته الى الرسول صلى الله عليه وسلم او الى من نسب اليه وهذا يشمل الصحيح في الاصطلاح والحسن وبعض الاحاديث الضعيفة الصالحة للمتابعة والتعضيد ولا يقتصر على الصحيح في الاصطلاح وان كان الصحيح في الاصطلاح اعلاها درجة في التوثيق .

وقد اختلف متاخروا الفقهاء في الاحتجاج بالحديث ( المرسل واحاديث المدلسين اذا لم يذكروا اسماءهم ، وما اسنده ثقة وارسله ثقات وروايات الثقات غير الحفاظ العارفين وروايات المبتدعة اذا كانوا صادقين )[٥١] وان اختلفوا فيما ذكر فاختلافهم خاضع للاجتهاد والنظر في ذات الحديث ، يدلنا على ذلك كثير من الاحاديث المرسلة التي احتج بها الامام مالك فقد رويت بطرق اخرى متصلة وقد وصلها بعد الامام مالك ائمة الحديث ويقال هذا في حق جميع انواع الحديث التي اختلفت في الاحتجاج بها .

---

(٥٠) رفع الملام عن الائمة الاعلام / ١٥

(٥١) قواعد في علوم الحديث ١٠٩

نخلص بجميع ما ذكر الى ان الاصطلاحات وجدت لفهم النصوص الحديثية المدونة وليس لتدوين الاحاديث • لانها كما علمنا وضعت بعد فترة غير يسيرة من تدوين السنة وظهور الفقهاء وانقسامهم الى مذاهب فقهية واضحة الاصول وواضح اختلافهم فيها •

وعلى ذلك فلا يحق لاحد ان يحكم بكذب حديث سمي حسنا او ضعيفا في الاصطلاح وليتحر القائل وليتق الله في ائمة هذه الامة وليكن الباحث امينا على العلم فلا يقول الا ما يعلم يقينا ويدع لكل عالم اختصاصه ولا يتصدر في كل علم بالظن والرجم والسماع والتقاط الكلمات •

نرجو الله ان يهدينا الى السداد في الرأي والرشاد في العمل والتوفيق والصبر في العلم والانتفاع به ويكون العلم سببا لنا لرضاء الله لا حجة علينا يوم لقاه •

# مصادر البحث


**١ ـ التعريفات :**

ابو الحسن علي بن محمد بن علي الجرجاني ت ٨١٦ هـ الدار التونسية للنشر ـ تونس ١٩٧١ م

**٢ ـ هدى الساري مقدمة فتح الباري**

احمد بن علي بن حجر العسقلاني ت ٨٥٢ هـ المطبعة السلفية ومكتبتها ـ القاهرة ١٣٨٠ هـ ـ ١٩٦٠ م

**٣ ـ ايقاظ همم اولي الابصار للاقتداء بسيد المهاجرين والانصار :**

الشيخ الامام صالح بن محمد العمري الشهير بالفلاني ت ١٢١٨هـ دار نشر الكتب الاسلامية ـ كوجر انوالة ـ باكستان ١٩٧٥ م

**٤ ـ الرسالة :**

للامام المطلبي محمد ابن ادريس الشافعي ت ٢٠٤ هـ تحقيق محمد سيد كيلاني

مطبعة مصطفى البابي الحلبي ـ القاهرة ١٣٨٨ هـ ـ ١٩٦٩ م

**٥ ـ التقييد والايضاح شرح مقدمة ابن الصلاح :**

الحافظ زين الدين عبدالرحيم العراقي ت٨٠٦ هـ تحقيق عبدالرحمن محمد عثمان

المكتبة السلفية ـ المدينة المنورة ١٣٨٩ هـ ـ ١٩٦٩ م

**٦ ـ علوم الحديث :**

ابو عمرو عثمان بن الصلاح الشهرزوري ت ٦٤٣هـ
تحقيق الدكتور نور الدين عتر
المكتبة العلمية ـ المدينة المنورة ١٩٥٧ م

**٧ ـ الباعث الحثيث شرح اختصار علوم الحديث لابن كثير المتوفي ٧٧٤ هـ**

احمد محمد شاكر
مطبعة محمد علي صبيح ـ القاهرة ١٩٥١ م ـ ١٣٧٠ هـ

٨ ـ **تدريب الراوي شرح تقريب النواوي :**

جلال الدين عبدالرحمن ابو بكر السيوطي ت ٩١١ هـ
تحقيق عبدالوهاب عبداللطيف
دار الكتب الحديثة ـ القاهرة ١٣٨٥ هـ ـ ١٩٦٦ م

٩ ـ **معالم السنن :**

الامام حمد بن محمد الخطابي ت ٣٨٨ هـ
المطبعة العلمية ـ حلب ١٣٥١ هـ ـ ١٩٣٢ م

١٠ـ **المحدث الفاصل بين الراوي والواعي :**

القاضي الحسين بن عبدالرحمن بن خلاد الرامهرمزي ت ٣٦٠ هـ
تحقيق محمد عجاج الخطيب
دار الفكر ـ بيروت ١٣٩١ هـ ـ ١٩٧١ م

١١ـ **الكفاية في علم الرواية :**

الحافظ احمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي ت ٤٦٣ هـ
مطبعة دار المعارف العثمانية ـ حيدر اباد الدكن ١٣٥٧ هـ

١٢ـ **الالماع الى معرفة أصول الرواية وتقييد السماع :**

القاضي عياض بن موسى اليحصبي ت ٥٤٤ هـ
تحقيق السيد صقر
مطبعة دار التراث ـ القاهرة ١٣٨٩ هـ ـ ١٩٧٠ م

١٣ـ **جامع بيان العلم وفضله وما ينبغي في روايته وحمله :**

يوسف بن عبدالبر النمري القرطبي ت ٤٦٣ هـ
تحقيق عبدالرحمن محمد عثمان
المكتبة السلفية ـ المدينة المنورة

١٤ـ **سنن الترمذي**

ابو عيسى محمد ن موسى ن سورة الترمذي ت ٢٧٩ هـ
تحقيق احمد محمد شاكر
مطبعة مصطفى البابي الحلبي واولاده ـ القاهرة

١٦ـ **قواعد في علوم الحديث :**

محمد جمال الدين القاسمي ت ١٣٣٢ هـ
تحقيق محمد بهجت البيطار
مطبعة عيسى البابي الحلبي ـ القاهرة ١٣٨٠ هـ ـ ١٩٧١ م

١٦ـ **قواعد في علوم الحديث :**

العلامة المحقق المحدث ظفر احمد التهانوي
تحقيق عبدالفتاح ابو غدة
مكتب المطبوعات الاسلامية ـ حلب ١٣٩٢ هـ ـ ١٩٧٢ م

١٧ـ **صحيح البخاري :**

الامام ابو عبدالله محمد بن اسماعيل البخاري ت ٢٥٦ هـ
المطبعة السلفية ١٣٨٠ هـ ـ ١٩٦٠ م

١٨ـ **شروط الائمة الستة :**

الحافظ ابو الفضل محمد بن طاهر المقدسي ت ٥٠٧ هـ
مكتبة القدسي ـ القاهرة ١٣٥٧ هـ

١٩ـ **شروط الائمة الخمسة :**

الحافظ او بكر محمد بن موسى الحازمي ت ٥٨٤ هـ
مكتبة القدسي ـ القاهرة ١٣٥٧ هـ

٢٠ـ **رفع الملام عن الائمة الاعلام :**

شيخ الاسلام تقي الدين ابو العباس احمد بن عبدالحليم بن تيمية ت ٧٢٨ هـ
المكتبة العلمية ـ المدينة المنورة

٢١ـ **طبقات الحفاظ :**

جلال الدين عبدالرحمن ابو بكر السيوطي ت ٩١١ هـ
تحقيق علي محمد عمر
مكتبة وهبة ١٣٩٢ هـ ـ ١٩٧٣ م